

مشهد «رأس الحسين» عليه السلام في القاهرة



منظر عام لمشهد رأس الإمام الحسين عليه السلام في القاهرة

إعداد: «شعائر»

هنا رجلٌ طاعنٌ في السنّ يذرف دمعاً حرّى وهو يناجي صاحب الضريح قضاء حاجة يعلمها الله وحده.. وهناك سيّداتٌ تعلقن بأستار الضريح راجيات تحقيق أملهنّ في إنجاب طفلٍ حُرمن منه، أو عودة ابنٍ غريبٍ اضطرتّه الحياة الصعبة للرحيل في بلاد الله.. أما من أقصى الصعيد، فثمّة عجائز أتين يحملن بضع قروش يوزعنها وفاءً لنذر تحقّق..

إنها مشاهدٌ من المقام المنسوب للإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام في القاهرة، والذي يقع على مقربة من الجامع الأزهر، وسوق خان الخليلى الشهير.

وإذ يعتقد أهل مصر بوجود الرأس الشريف لسيد الشهداء عليه السلام في هذا المشهد، يحيون فيه المناسبات الدينيّة، ويتذرون له النذور ويتبركون بزيارته.

هذا التحقيق، يسلط الضوء على جوانب من تاريخ هذا المشهد، وموادة المصريين لآل بيت رسول الله ﷺ تمّ إعداده استناداً إلى كتاب (شرح إحقاق الحق) للمرجع الديني السيد المرعشي النجفي قدس سرّه، وكتاب (مزارات أهل البيت عليهم السلام في مصر) للعلامة الشيخ علي كوراني، ودراسة أكاديمية نُشرت في فصلية «العميد» الصادرة عن «العتبة العباسية المقدّسة».

الفاطميون على الرأس الشريف فنقلوه إلى مصر، وكان ذلك قبل دخول الصليبيين واستيلائهم على المدينة. وقد أمر الخليفة الفاطمي بحفظ الرأس الشريف في أحد سرايب «قصر الزمرد»، إلى أن تمّ بناء مشهد له بالقرب من الجامع الأزهر الشريف وذلك في عام ٥٤٩ للهجرة، وهو المشهد الحسيني الموجود حالياً.



بقايا البناء الفاطمي الأول، وفي الصورة مدخل المشهد المعروف بـ«الباب الأخضر»

بناء المقام الشريف

تمّ بناء مقام الرأس الشريف بالحجر المنحوت. وهو يضمّ ثلاثة أبواب مبنية بالرخام الأبيض، يطلّ أحدها على «خان الخليلي»، ويوجد باب آخر بجوار القبة ويعرف بـ«الباب الأخضر».

في بداية الأمر لم يكن هناك مسجد بجوار الضريح، ولكن الأمراء والحكام تسابقوا في عمارة الضريح وما حوله حتى تحوّل إلى مسجد، وزادوا في مساحته حتى وصل إلى شكله الحالي. فنمت عمارته وزخرفته، وأضيت قاعاته وطرقته وممرّاته، وفُرشت أرضياته بالسجاجيد النفيسة.

يوجد الآن داخل الضريح حجرة التابوت التي يُقال إنّ بها رأس الإمام الحسين عليه السلام، ولقد وُضع الرأس

يعدّ مشهد الإمام الحسين عليه السلام في القاهرة أهمّ المزارات الدينية في مصر، حيث يلجأ الناس إليه للدعاء، وكثيراً ما نرى داخل المسجد (المشهد الشريف) من يقوم بإيقاد الشموع لـ(سيدنا الحسين) بعد شفاء مريض له، أو بعد خروجه من أزمة ما.

وفي مصر، إذا ما قيل باللهجة العامية: (سيدنا).. فهذا يعني (الحسين)، وإذا ما قيل (مولانا).. فهذا يعني (الحسين)، وإذا



جانب من المسجد الملحق بالمشهد الحسيني

ما قيل (الحسين).. فهذا يعني الكثير.. يعني الاستشهاد من أجل الحقّ، وإقرار العدل، وافتداء الجمع بحياة الفرد، لكي يتحوّل الوجود المادّي إلى معنوي ممتدّ، فلا زمن يحده، ولا مكان يقيدته...

نقل الرأس الشريف إلى القاهرة

يقول المقرئ في كتابه (الخطط المقرئية) ما ملخصه: أنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام نُقل من عسقلان إلى القاهرة سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م)، وكان الذي وصل بالرأس الشريف من عسقلان الأمير سيف المملكة (تميم) واليها من قبل الخليفة الفاطمي، وذلك خوفاً من الحملات الصليبية على بلاد الشام، فبعد محاصرتهم مدينة عسقلان خشي

«الحسن والحسين مَيَّ، مَن أَحَبَّهُمَا أَحَبَّهُ، وَمَن أَبْغَضَهُمَا أَبْغَضَهُ».

أما الآية الكريمة: ﴿..قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ..﴾ (الشورى: ٢٣)، فهي مكتوبة بخط جميل، وحروف خضراء على خلفية من اللون البني، ومحفورة في الجدران.

الروضة والمسجد

وصف الرحالة ابن جبير المشهد الشريف سنة ٥٧٨ للهجرة، فقال: «هذا المشهد العظيم الشأن الذي بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن علي بن أبي طالب [عليهما السلام]، هو في تابوت من فضة مدفون تحت الأرض، قد بُني عليه بنيان جميل يقصر الوصف عنه ولا يحيط الإدراك به.. والمدخل إلى هذه الروضة على مسجدٍ مثلها في التأنق والغرابة..».

يتضح من وصف ابن جبير أن مشهد الإمام الحسين عليه السلام كان عبارة عن وحدتين معماريتين: الوحدة الأولى هي الروضة أو القبّة التي دُفن فيها الرأس الشريف، والوحدة الثانية هي المسجد الذي هو متصل بالروضة عن طريق فتحات أبواب وأنه كان من قسمين عن يمين الروضة وشمالها، وهذا التخطيط يرتبط في ملامحه العامة بمشهد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في النجف الأشرف.

«مودّة» المصريين للرسول صلى الله عليه وآله

بلغ تقديس المصريين للمقام الشريف حدًا دفع كثيراً من المؤرخين إلى إطلاق اسم «مسجد الحرم المصري» على مقام الرأس الشريف.

يقول الصحفي المصري بجريدة الأهرام الدكتور نبيل شرف الدين: «هنا يتعامل الناس مع الحسين عليه السلام، كأنه ما زال حياً داخل الضريح. يتحاكمون إليه في منازعاتهم. يتحدثون إليه في كربهم. بينما يُرسل بعضهم إليه خطابات عبر البريد. وقد ذكرت هيئة البريد المصرية أنه قد يصل إلى

داخل التابوت على كرسيّ من «الأبنوس»، في برنس أخضر، و حولها نصف أردب [من الموازين] من الطيب لا تنضب رائحته. أما التابوت فهو مصنوع من الخشب الساج الهندي. حالياً لم يتبقّ من المشهد الفاطمي للإمام الحسين عليه السلام سوى أحد أبوابه وهو المعروف باسم «الباب الأخضر»، ويقع بالقرب من الركن الجنوبي للضريح، وهو يعدّ أقدم أجزاء البناء، ويرجع تاريخه إلى زمن بناء المشهد الشريف



صورة الضريح حيث يُعتقد بوجود الرأس الشريف

في العهد الفاطمي. أما البناء الحديث فقد شُيد على القبّة في فترات لاحقة، وما تزال أعمال التوسعة والتحديث مستمرة حتى اليوم.

الإجابة تحت قبّته...

على المشهد «الضريح» الشريف نقش من «الأبنوس» المكسوّ بالاستبرق الأحمر المزركش، وقبّته ألواح مزخرفة بخطوط مذهبة. أما في أعلى الباب الذي يلي المنبر فقد نقشت العبارة البليغة التالية: «الشفاء في تربته، والإجابة تحت قبّته، والأئمة من ذريّته».

أما على باب المسجد المؤدّي للمقام الحسيني فعُلقت لوحة رخامية كبيرة كُتب عليها بالذهب حديث رسول الله ﷺ:

وكلّهم يعتقدون أنّ الله تعالى سيبارك لهم، عندما يتواضعون ويكنسون الميدان، ويرشّون الماء. ويتجاوز عدد المصلين المليون شخص في كلّ عيد.

أمّا مولد الامام الحسين عليه السلام، فهو من المناسبات التي ينتظرها كثيرون، حيث تتحوّل ساحة المسجد والميدان الذي يطلّ عليه إلى مهرجانٍ عظيم، يكتنّز بحلقات الذكر والإنشاد الديني وقراءة القرآن، ويجتذب الزائرين والمريدين، من جميع أنحاء مصر والعالم العربيّ.



حشود المصريّين داخل روضة المشهد في ذكرى مولد الإمام الحسين عليه السلام

الحسين عليه السلام نورٌ لم ولن ينطفئ

كلّ هذا في كفة، وما يعرفهم المصريّون بـ«مجاذيب الحسين» في كفة أخرى، [المجدوبون، كناية عن أن حبّ سيّد الشهداء عليه السلام استولى عليهم فأذهب ألبابهم]، فهناك حول الضريح تجرّ عشرات من ارتدوا «الخرقة الصوفية»، وتركوا بيوتهم وأعمالهم واستأنسوا بالحسين عليه السلام، أقاموا حول الضريح يلتحفون السماء ويفترشون الأرض، ويصلّون الصلوات الخمس في المسجد. في المقام الشريف رائحة العطور تغمر زوّار الضريح، وطواير الساعين إلى الصلاة في رحابه وزيارة مرقد الرأس الشريف، لا ينقطعون ليلاً أو نهاراً. إنها أنوارٌ لا تنطفئ، ولم تنطفئ منذ قرون.

المرقد المطهر في العام الواحد أكثر من مليون رسالة، تُسلّمها لخدام الضريح، ويكون العنوان كالآتي:

اسم المرسل:

أما المرسل إليه فهو: حضرة الإمام سيّد شهداء الجنتّة الحسين بن عليّ رضوان الله عليهما. العنوان: القاهرة - مسجد الإمام الحسين».

المشهد الحسيني في شهر رمضان

في داخل المسجد يُعقد يومياً أكثر من خمسمائة عقد قران، تصل أيام الخميس والجمعة إلى الألف، حيث يحرص آلاف المصريّين على عقد قرانهم داخل المسجد الحسيني، وبعضهم يأتي من مدن مصريّة بعيدة، قد تبعد عن القاهرة أكثر من سبعمائة كيلو متراً.

للحسين عليه السلام، ومسجده، وضريحه، ومشهده، منزلة خاصة في نفوس المصريّين، يسعون إليه من القرى النائية، والمدن القريبة والبعيدة، تنتظم حوله الحياة في أجمل مشاهدتها، يفيض المكان بالطمأنينة، والسكينة، والرضا.

وفي شهر رمضان يستحيل على المرء أن يجد موضعاً لقدم في الميدان المعروف بـ«المشهد الحسيني». ولست مضطراً لأن تدفع نقوداً لكي تظفر، فإذا ما كنت في ميدان الحسين، فإنّ أهل الخير يحملون آلاف الوجبات، ويقدمونها مجاناً للصائمين وعابري السبيل. وفي كلّ شهور السنة يحرص كثيرٌ من الأغنياء على توزيع الزكاة والصدقات على الناس حول الضريح.

أما في صلاة العيدين فحدّث ولا حرج.. تُغسل الأرض غسلًا.. لا تكاد تميّز بين عامل النظافة الموظّف رسمياً لهذا الغرض، وبين مئات الشباب والشيب، الذين يشمرون عن سواعدهم ويحملون المقشّات ليكنسوا الميدان. بعضهم أطباء ومهندسون وضباط وأساتذة جامعات وتجار أثرياء،